الفصل الخامس

الصورة القومية

حظيت الصورة القومية بإهتمام الباحثين فى الدراسات النفسية والاجتماعية لمعرفة أثرها على السلوك الإنسانى وكذلك فهم وتفسير العلاقات بين الدول المختلفة. فقد اتضح أن عدداً كبيراً من صناع القرار لا يستجيبون للحقائق الموضوعية للمواقف بقدر ما يخضعون لتأثير ما لديهم من صور عن أنفسهم وعن العالم الذى يتعاملون معه. وهذا يفسر العلاقة الوثيقة بين الصورة والقرار، فالصورة هى الإطار النفسى العام لاتخاذ القرارات، أو هى البيئة النفسية التى تتم فيها عملية صنع القرار.

وإذا كانت الصورة الذهنية للفرد أو المنظمة تلعب دوراً هاماً فى معرفة السلوك المتوقع تجاه كل منهما من جانب أفراد المجتمع، فإن صورة الدولة أو مجموعة الدول التى تجمعها مجموعة من الخصائص المشتركة تؤثر هى الأخرى على سلوك المجتمع الدولى نحو هذه الدولة أو تلك الدول. ولذلك تحرص كل دولة على أن يراها المجتمع الدولى فى صورة تخدم أهدافها وتبذل كل جهد ممكن من أجل إقناع الآخرين بصدق هذه الصورة، كما تقدم كل ما لديها من امكانات لإزالة أية جوانب أو معالم سلبية فى صورتها الحالية وتجنب أى تغييرات غير مرغوبة يمكن أن تطرأ على هذه الصورة.

العلاقات العامة والصورة القومية:

إذا كانت العلاقات العامة داخل أى منظمة تقع عليها مسئولية بناء وتحسين صورة المنظمة بالاشتراك مع رجال الإدارة وكل الأفراد العاملين بها، فإن النظام الحاكم فى أى دولة يقوم بنفس الدور بمساعدة وسائل الإتصال الجماهيرية فى تلك الدولة وبالتعاون مع البعثات الدبلوماسية والتعليمية وما تؤسسه الدولة من هيئات متخصصة لممارسة هذا الدور أو بمساعدة بعض وكالات العلاقات العامة الدولية.

كما أن بعض الدول التى تتميز بموقع جغرافى فريد أو أماكن جذب من نوع معين يلعب المواطنون فيها دوراً كبيراً فى تقديم مجتمعهم إلى ممثلى الشعوب الأخرى من خلال تصرفاتهم وسلوكهم الخاص وطريقة تعاملهم مع هؤلاء الأفراد.

وتعبر الأعمال الفنية السينمائية والمسرحية فى أى دولة عن شخصية هذه الدولة وواقعها الاجتماعى. ومن ثم تساهم هذه الأعمال فى تكوين صورة الدولة التى تنتجها وخاصة عندما تتاح لهذه الأعمال فرص الذيوع والانتشار. كما تساعد الكتب مع سائر المواد الثقافية التى تقدم خلاصة الفكر فى مجتمع ما على تكوين الصورة القومية للدولة إذا لاقت هذه المواد قبولاً ورواجاً فى مجتمعات أخرى. كما يلعب المظهر الشخصى والزى الوطنى السائد وأنماط السلوك العام والعادات والتقاليد والقيم التى تظهر من خلال الأعمال السابقة أو من الاحتكاك المباشر دوراً كبيراً فى تشكيل صور المجتمعات التى تعبر عنها.

ومن هنا تتضح أهمية دراسة العوامل المؤثرة فى تكوين الصورة المرغوبة لمجتمع معين وفى وقت محدد، والتعرف على أفضل أساليب تأكيد المعالم الايجابية فى الصورة الحالية، والتخلص من المعالم السلبية التى تشوه الصورة المرغوبة. ولذلك فإن الأساس العلمى السليم فى بناء الصورة القومية يستند إلى نفس الأسس العلمية التى تتبعها ممارسة العلاقات العامة على مستوى الأفراد والمنظمات وهى تحديد نقاط الضعف والقوة في الصورة الحالية للدولة. ويتبع ذلك وضع تخطيط مكتوب لمعالم الصورة القومية المرغوبة فى ضوء الظروف والأوضاع الدولية السائدة والأهداف والمصالح الخاصة بمجتمع معين.

وينبغى أن يتضمن التخطيط لبناء الصورة القومية أو تصحيحها دور الأجهزة المختلفة فى هذه العملية، وكذلك تحديد الهوية الثقافية للمجتمع بشكل واضح لهذه الأجهزة وللقيادات المسئولة التى تمثل المجتمع من خلال اتصالها المستمر بقيادات المجتمعات الأخرى. ولاشك أن عملية تحديد الهوية بشكل واضح فى المجتمعات

النامية تمثل مشكلة صعبة فى ظل السياسات المتقلبة والتى غالباً ما تعبر عن القيادة الفردية للمجتمع بعكس ما هو حادث فى المجتمعات المتقدمة التى استقرت أوضاعها وتحددت سياستها من خلال آراء الجماهير ومشاركتها الفعلية فى تحديد الهوية الثقافية التى تعبر عن شخصية المجتمع وأهدافه.

ومن الضرورى أن يتضمن التخطيط لبناء الصورة القومية أو تصحيحها الأفكار الرئيسية والموضوعات الأساسية التى تستهدف تقديم الدولة إلى المجتمع العالمى، ودور الأجهزة المختلفة في تقديم هذه الأفكار أو تبنى تلك الموضوعات. ولابد من تحديد أساليب وأدوات التقويم اللازمة لقياس كفاءة هذه الأجهزة في تحقيق الأهداف المناطة بها، ودراسة الآثار العامة للجهود المشتركة التى تساهم فيها، وارتباط هذه الجهود بتطور الأحداث والسياسات في المجتمعات الأخرى لكى تتسم عملية التقويم بالدقة العلمية الكاملة فى تقدير النتائج ومعرفة الآثار الفعلية للجهود المبذولة.

وقد أنشأت بعض الدول أجهزة خاصة لتحقيق أهداف العلاقات العامة داخلياً وخارجياً والتنسيق مع سائر الجهات المعنية بالصورة القومية. ومن هذه الأجهزة الهيئة العامة للاستعلامات فى جمهورية مصر العربية، والجهاز المركزى للاستعلامات في المملكة المتحدة، ووكالة الاستعلامات فى الولايات المتحدة، والوكالة المركزية للعلاقات العامة والإعلام فى كندا.

دور الهيئة العامة للاستعلامات فى صنع الصورة المصرية:

بين المرسوم بقانون رقم ٢٧٠ لسنة ١٩٥٢ الخاص بإنشاء وزارة الارشاد غايات تلك الوزارة، ونصت المادة السادسة منه على تحديد دور الوزارة فى المجال الخارجى "تزويد الرأى العام العالمى، ودوائر الثقافة والسياسة بأصدق البيانات والإحصاءات والأرقام والرسوم عن حقائق الأمور فى مصر وعن نشاطها الحكومى والأهلى فى

(١) ابراهيم امام (دكتور): *المرجع السابق*، ص ١٢٨ .

ميادين العلم والثقافة والصناعة والزراعة والتجارة[١]. وتضمن المرسوم السابق إنشاء إدارة الاستعلامات التى أصبح أسمها الهيئة العامة للاستعلامات فى عام ١٩٦٧، وتتلخص أهداف هذه الهيئة فيما يلى[١]:

أولا: توضيح الصورة الحقيقة لمصر أمام الرأى العام العالمى وشرح أهداف الدولة وخططها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، واتجاهاتها ازاء المشكلات العالمية، وعرض صور التقدم والنهضة بها، ودحض الدعايات المضادة وتنوير الرأى العام بإعداد البرامج الاعلامية وتنفيذها مستخدمة فى ذلك كافة الوسائل الاعلامية عن طريق مراكز الإعلام فى الداخل والخارج، متعاونة مع أجهزة الدولة الأخرى.

ثانيا: تهدف الهيئة فى المجال الداخلى إلى تدعيم المفاهيم الجديدة للدولة لدى الجماهير وتعميقها والمساهمة فى رفع مستوي القرية حضارياً وثقافياً واقتصادياً، وكذلك المساهمة فى المناسبات القومية، وتوضيح قرارات الدولة للمواطنين، وتوجيه الجماهير وارشادها باستخدام الاتصال المباشر من خلال اللقاءات التى تقوم بها مراكز الإعلام فى الداخل واستخدام الصور والمطبوعات وعرض الملصقات والشرائح والأفلام التسجيلية وغيرها.

ثالثا: القيام باستقصاءات عن الرأى العام العالمى والمحلى لمعرفة اتجاهاته نحو القرارات التى تتخذها أجهزة الدولة المختلفة وذلك عن طريق مراكز الإعلام الداخلية والخارجية، وكذلك القيام بقياس اتجاهات الرأى العام العالمى والمحلى أزاء برامج الإعلام التى تقدمها مختلف الأجهزة الإعلامية مستعينة فى ذلك بأجهزة الدولة فى الداخل والخارج.

رابعا: تجميع الصورة عن موقف الرأى العام العالمى والمحلى تجاه الأحداث والقضايا التى تتعلق بالدولة، وكذلك القيام بتنوير الرأى العام العالمى باستخدام مختلف الوسائل وفقاً لخطط الإعلام المقررة.

(١) *المرجع السابق*، ص ٣٠٠ - ٣٠٢ .

خامسا: الحصول على رصيد من المعلومات عن مختلف الأحداث والموضوعات التى تهم الرأى العام العالمى والمحلى، وتجميع هذه المعلومات وتصنيفها ودراستها لاستخلاص الاتجاهات المختلفة منها، وابلاغ هذه النتائج للجهات المعنية بما يسمح بتخطيط ورسم السياسة الإعلامية على أساس الموقف الحقيقى لاتجاهات الرأى العام العالمى والمحلى.

سادسا: تقديم المعلومات الوافية لرجال الإعلام، والرد على استفساراتهم بما يساعدهم على التعرف على اتجاهات الدولة ومجابهة الدعايات المضادة. كما تقوم الهيئة بتدعيم الصلات مع أبناء مصر فى الخارج سواء كانوا أعضاء بعثات دراسية أو عاملين بالخارج أو مهاجرين وتزويدهم بالمعلومات التى تساعدهم على توضيح صورة مصر أمام الشعوب الأخرى.

سابعا: إعداد النشرات والتقارير الإعلامية عن مختلف الموضوعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ورفعها إلى الأجهزة العليا بالدولة.

ومن الضرورى أن نشير هنا إلى أهمية التنسيق بين أوجه نشاط هذه الهيئة فى المجال الخارجى وبين نشاط البعثات الدبلوماسية والتعليمية الخارجية، وكذلك تعبئة جهود جميع المصريين العاملين فى الخارج والراغبين فى دحض الدعايات المضادة، وتوضيح الصورة الحقيقية لبلادهم أمام الرأي العام العالمى. وهذا يتطلب دعم هذه الهيئة ومنحها الصلاحيات الكاملة التى تمكنها من أداء دورها فى الداخل والخارج بفاعلية أكثر لكى تدخل مصر من خلالها المجال الدولى للعلاقات العامة، وتثبت فيه أمام القوى الإعلامية والدعائية المختلفة فى اتجاهاتها ومصالحها.

تأثير الأحداث المثيرة على الصورة القومية:

إذا كانت عملية بناء الصورة أو تصحيحها تعتمد علي تراكم الجهود الاتصالية والدبلوماسية بالإضافة إلى غيرها من المؤثرات والأحداث التى تعمل ببطء على تكوين المعالم الايجابية أو السلبية فى الصورة القومية فإن تأثير

الأحداث المثيرة واستغلالها إعلامياً ودعائياً يمثل عنصراً حاسماً وفعالاً فى بناء الصور وتغييرها أو إدخال تعديل معين عليها. وهنا تظهر براعة مهندس الصورة أو صانع الصورة - على حد تعبير الباحث الأمريكى ويلبور شرام - فى استغلال هذه الأحداث لتحقيق الصورة المرغوبة[١].

فقد كان إطلاق القمر الصناعى السوفيتى الأول فى عام ١٩٥٧ حدثاً مثيراً أحدث تغييراً فى صورة الروس عند بعض الشعوب وفى مقدمتهم الشعب الأمريكى، الذى تكونت لديه من خلال وسائل الاتصال الأمريكية صورة سلبية عن الشعب السوفيتى وحكومته. وقد جاء هذا الحدث ليهز تلك الصورة هزاً عنيفاً وليخلق تناقضاً حاداً بين الصورة القائمة ودلالات النجاح فى إطلاق أول قمر صناعى يدور حول الأرض. وقد كان رد الفعل الرسمى الأمريكى من خلال البيانات الصحفية الصادرة عن الإدارة الأمريكية يتسم بالعبارات المتناقضة والمحاولات المتسرعة لتدارك آثار المفاجئة الهائلة وابتلاع الكأس المر دون إظهار طعم المرارة على الشفاه[٢].

لكنه من المهم أن نوضح أن تأثير الأحداث المثيرة على الصور القائمة عن الأعداء قد لا يدوم لفترة طويلة إذا نجحت وسائل الاتصال عند الطرف الآخر فى إمتصاص هذه الأحداث وتحويل الانتباه عنها أو تبريرها بشكل يضعف آثارها المحتملة بعد فترة قصيرة. وقد تعترف هذه الوسائل بالحقائق الجديدة المرتبطة بهذا الحدث ولكنها تنجح فى نفس الوقت فى تعبئة المشاعر ضد العدو وتنمية الرغبة القتالية من منطق جديد أو بناء على تكوين صورة أخرى للأعداء قد تختلف فى تفاصيلها عن الصورة القديمة ولكنها تحقق نفس الهدف من الصورة الأولى والذى يتمثل فى إثارة الكراهية وتغذية مشاعر العداء.

---

(1) Schramm, Wilbur: ***Op.cit.***, p. 269.

(2) Robinson. Edward J.: ***Op.cit.***, p. 175.

ولعل أوضح مثال على ذلك ما حدث فى أعقاب حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ من هزيمة قاسية فاقت كل التصورات، وأحدثت هزة عنيفة فى الصور السائدة عن أطراف الصراع، ولكن ما لبثت وسائل الاتصال المصرية أن أعادت الثقة المفقودة عند الجنود ونجحت فى خلق التصميم على القتال مرة ثانية وتعبئة الشعور القومى، وإعداده للحرب من جديد. وقد تحقق الهدف فى هذه المرة من خلال إعادة تشكيل صورة العدو بما يتفق مع الأوضاع الحقيقية، والتأكيد على روح البذل والاستعداد للكفاح فى معركة قد يطول مداها ويزيد عدد ضحاياها من أجل تحرير الأرض، والدفاع عن الوطن.

وقد كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ واحدة من تلك الأحداث التى أثبتت تأثير الأحداث المثيرة فى تغيير الصورة السائدة أو تصحيحها. فقد أكدت دراسة "صورة العرب والاسرائيليين فى الولايات المتحدة الأمريكية". تأثير هذه الحرب على النحو التالى[١]:

أولا: أكدت نتائج الدراسة أثر الحروب على الصورة القومية. فلقد كان لحرب يونيو ١٩٦٧ وحرب أكتوبر ١٩٧٣ دور كبير فى تشكيل الصورة الأمريكية عن الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية، حيث أبرزت حرب ١٩٦٧ فى الصورة العربية عند الأمريكيين سمات غير طيبة على عكس ما أبرزته من سمات طيبة عن الشخصية الإسرائيلية.

ثانيا: أكدت نتائج الدراسة أثر التغير فى النظام السياسى فى بلد ما على الصورة القومية لهذا البلد فى المجتمعات الأخرى تبعاً لموقف هذا النظام من هذه المجتمعات. فقد وصفت الصحافة الأمريكية النظام المصرى بصفات غير طيبة فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر على عكس ما فعلته خلال فترة حكم الرئيس السادات.

---

(١) نادية سالم (دكتورة): ***صورة العرب والاسرائيليين فى الولايات المتحدة الأمريكية***. القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٨ ص ٢٦٦ - ٢٦٨ .

ثالثا: أكدت نتائج الدراسة التمييز بين ثلاثة صور فرعية عن الشخصية العربية بينما وحدت بين الصورة اليهودية والإسرائيلية. فالصحافة الأمريكية خصت المصريين بسمات معينة وكذلك الفلسطينين بالإضافة إلى السمات العامة للشخصية العربية. ومن الملاحظ أن كلمتى اسرائيلى ويهودى يستخدمان فى الصحافة الأمريكية كترادفين، وهو ما يتفق مع المفهوم الاسرائيلى الذى يهدف إلى توحيد الصورة القومية للشخصية اليهودية والشخصية الاسرائيلية.

رابعا: أكدت نتائج الدراسة أن التغير الذى طرأ على الصورة الأمريكية للشخصية العربية والشخصية الاسرائيلية لم يلغ كل جوانب الصورة القديمة. فقد استمرت بعض معالم الصورة القديمة، وأضيفت إليها معالم جديدة مع بعض التعديلات التى طرأت على بعض السمات كنتيجة مباشرة للحرب.

وقد أكدت دراسة "صورة إسرائيل فى الصحافة المصرية" أثر التغيرات التى طرأت على العلاقات المصرية الاسرائيلية فى سنوات الدراسة فى تشكيل صورة اسرائيل فى هذه الصحافة. كما أبرزت تأثير الأوضاع الدولية والاقليمية، ودرجة الاتصال بين الطرفين وتأثير الأحداث المثيرة كإعلان الرئيس السادات عن مبادرته للسلام والخطوات السريعة التالية والتى شهد العالم خلالها على الأقمار الصناعية صورة حية لزيارة الرئيس المصرى إلى اسرائيل.

وترى الباحثة أن هذه الزيارة كانت بداية لعصر جديد فى العلاقات الدولية تغيرت فيه الكثير من المفاهيم والصور القديمة. وقد أكدت الدراسة حدوث اختلاف واضح بين صورة اسرائيل عام ١٩٧٢ وصورتها عام ١٩٧٨ فى الصحافة المصرية، حيث لم تتفق الصورتان إلا بالنسبة لعدم احترام اسرائيل للمواثيق الدولية. بينما اختلفت الصورتان فى طبيعة اسرائيل وأهدافها وأساليب تحقيق هذه الأهداف ودورها إقليمياً وعالمياً، وكذلك المشاكل والأوضاع الداخلية فى المجتمع الاسرائيلى[١].

(١) راجية أحمد قنديل: *المصدر السابق*، ص ٢٠٦ .

صورة الأعداء والأصدقاء:

لاشك أن تزايد حدة العداء بين دولتين يؤثر تأثيراً كبيراً على نوعية الصورة التى ترسمها كل منهم للدولة الأخرى فى وسائل الاتصال الجماهيرية. فى حين أن مشاعر الود والصداقة التى تجمع بين دولتين فى وقت معين تنعكس بشكل واضح على ما تنشره أو تذيعه أى من هاتين الدولتين عن الدولة الصديقة.

وهناك دراستان من أوائل الدراسات التى اهتمت بالتعرف على صورة دولة ما فى صحافة دولة أخرى قدمت إحداهما إلى جامعة انديانا بالولايات المتحدة الأمريكية، والثانية إلى جامعة ايوا وذلك للحصول على درجة الدكتوراه فى الاتصال الجماهيرى فى عام ١٩٦٣[١].

وقد تناولت الدراسة الأولى صور الولايات المتحدة الأمريكية فى صحافة أمريكا اللاتينية، واعتمدت على تحليل مضمون عشرين من كبريات الصحف القومية التى تصدر فى عواصم دول أمريكا اللاتينية بهدف التعرف على الصور التى عرضتها هذه الصحف خلال الأسبوع الأول من شهر فبراير ١٩٥٩ . وقد توصل الباحث إلى أن هناك ١٢ صورة للولايات المتحدة تتراوح بين صور ناصعة البياض وأخرى قاتمة السواد، مروراً ببعض الصور الرمادية. فالدول المؤيدة عكست صحفها صورة الولايات المتحدة الديمقراطية والصديقة والكريمة والسخية. أما الدول المعادية فقد ركزت صحافتها على صورة الولايات المتحدة الامبريالية وحليفة الأنظمة الديكتاتورية، وتحدثت عن الصلف الأمريكى والسطحية الأمريكية. أما الدول المحايدة فقد عكست صحافتها صورة الولايات المتحدة القوية، الثرية والتى تهتم بالرياضة والترفيه والترويح.

أما الدراسة الثانية فقد استهدفت التعرف على صورة الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً وكانت هذه المرة فى الصين من خلال مجلتها الاسبوعية الدعائية

(١) المصدر السابق ص ١٢ - ١٧ .

Peking Review التى تصدر باللغة الانجليزية، وتوجه إلى شعوب العالم التى تتحدث باللغة الانجليزية وحوالى ١٥,٥ مليون صينى من المهاجرين الذين يعيشون ويعملون خارج الصين. وقد غطت الدراسة خمس سنوات تبدأ من تاريخ صدور المجلة فى ٤ مارس ١٩٥٨ .

وقد وجد الباحث أن الصورة التى عرضتها المجلة للولايات المتحدة تحمل الكثير من التشوهات وأنصاف الحقائق والتفسيرات الخاطئة والأكاذيب والتزييف. كما تأكد الباحث أن أهم معالم هذه الصورة، وبؤرتها أو مركزها هو أمريكا الامبريالية. أما أبرز سمات هذه الصورة فقد جاءت على النحو التالى:

أمريكا دولة امبريالية، ومناصرة للاستعمار، وتتدخل باستمرار فى الشئون الداخلية للدول الأخرى، ولا تتمتع بصداقة الكثيرين من الدول، وتتناقص هيبتها، وتتدهور قوتها الاقتصادية، وتسعى إلى السيطرة وبسط نفوذها على الدول حديثة العهد بالاستقلال فى كل من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، ويسبقها الاتحاد السوفيتى فى مجالات دراسات وأبحاث الفضاء، ويتفوق عليها فى الانجازات العلمية، ويعانى مواطنوها من عدم المساواة والتفرقة العنصرية واضطهاد الملونين والزنوج، وتتزايد بها الجرائم وأعمال العنف مما يهدد الأمن فى الشارع الأمريكى.

وتوضح هذه الصفات كما عرضتها المجلة الصينية فى فترة زمنية بلغت فيها مشاعر العداء والكراهية ذروتها بين الدولتين أن صورة الولايات المتحدة فى هذه المجلة سوداء تماماً، وكل معالمها وأجزائها سلبية. وقد كانت هذه الصور معبرة عن اتجاه الصين الحقيقى تجاه الولايات المتحدة فى تلك الفترة باعتبارها الخصم الأول والنقيض التام لها فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ولقد ثبت أن الصورة القومية هى انعكاس للأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية التى تسود أى مجتمع فى وقت معين كما أثبتت

الأحداث أن الصورة القومية ليست ثابتة أو مطلقة وإنما هى نسبية ومتغيرة تبعاً لتغير الأوضاع الاقتصادية والأبنية الاجتماعية، والظروف السياسية والثقافية[١].

وقد كانت الصورة القومية فى المجتمعات القديمة غير واضحة تماماً بالنسبة للمجتمعات الأخرى لضآلة فرص الالتقاء والتواصل بين الشعوب المختلفة ولذلك كانت هذه الصور فى أغلب الأحوال باهتة الظلال مليئة بالتخيلات غير الصائبة والأوهام المبالغ فيها.

أما فى النصف الثانى من القرن العشرين فقد تطورت فرص الالتقاء والتواصل بين شعوب العالم المختلفة بشكل هائل، وتقاربت المسافات، وكادت تنمحى الحواجز الجغرافية المصطنعة وقد انعكس ذلك على معلومات الأفراد والجماعات عن الشعوب المختلفة، وأصبحت الصور أكثر قرباً عما كانت عليه فى الماضى. ولكنها بقيت مع ذلك متأثرة باتجاهات الشعوب تجاه بعضها فى أوقات معينة، وما تمثله هذه الاتجاهات من عداء أو صداقة، بالإضافة إلى الاتجاهات المحايدة التى تخف فيها حدة التشويه أو المغالاة فى الثناء والتقدير.

ويرى دافيسون W. Philips Davison أن الصراع السياسى العالمى قد ضاعف من عدد البرامج التى تسعى إلى نقل المعلومات إلى الشعوب الأخرى، والتأثير فى الجماهير من خلالها. ورغم أن محاولات التأثير فى الشعوب الأخرى بإستخدام الاتصال إلى جانب الدبلوماسية والقوة لإضعاف عزيمة العدو وكسب الحلفاء والانصار ترجع إلى العصور القديمة، إلا إننا نلاحظ أن وسائل تنفيذ هذه المحاولات قد تعددت - فى ظل ثورات الاتصال المتعاقبة - واتسع مداها، وزادت كثافتها[٢].

---

(١) نادية سالم (دكتورة): *المرجع السابق*، ص ٢٦٦ .

(٢) على عجوه (دكتور): *المرجع السابق*، ص ٢٤٢ .

ولاشك أن نجاح الدولة فى بناء الصورة المرغوبة لها فى المجتمع الدولى وإقناع الآخرين بصحة هذه الصورة سواء كانت حقيقية أم زائفة يشكل قدرة أكبر على تحقيق أهدافها فى حين أن الفشل فى إقناع الآخرين بالصورة المرغوبة يمكن أن يؤدى إلى خسائر جسيمة، وقصة الصراع العربى الاسرائيلى فى المجال الدولى تعكس بوضوح هذه الحقيقة. ومن المؤسف أن الإعلام العربى كان يؤيد الزعم الاسرائيلى بصفة مستمرة. فقد كانت اسرائيل تؤكد باستمرار أنها تريد السلام وتحرص عليه فى حين أن العرب يسعون إلى الحرب ويرغبون فى تدميرها وإلقائها فى البحر، وهو ما كانت تعكسه الكلمات الجوفاء الصادرة عن القيادات العربية دون أن تكون تعبيراً حقيقياً عن نواياهم أو حتى امكاناتهم فى ضوء المتغيرات الدولية.

وقد كسبت اسرائيل بهذه الصورة دعماً وتأييداً مستمراً من معظم القوى الكبرى فى العالم، ونجحت فى استثارة الاتجاهات المعادية نحو العرب، وتكوين صورة سلبية عنهم مهدت من خلالها إلى تبرير عدوانها المتكرر وأكسبته الصبغة الشرعية أمام الرأى العام العالمى. وقد دعم هذه الصورة السلبية التناحر والصراع المتجدد بين الدول العربية نفسها. ولم يكن غريباً على المؤلف أن يسمع رأياً لطالب أمريكى فى إحدى المحاضرات التى تعالج موضوع الصورة القومية فى جامعة ولاية ميشجان Michigan State University عام ١٩٧٦ حينما طلبت باحثة أمريكية من الطلاب أن يعبروا عن انطباعاتهم الأولى حينما تشير إلى كل واحد منهم ناطقة باسم شعب معين. وعندما أشارت الباحثة إلى هذا الطالب قائلة العرب، قال "انهم يقاتلون طول الوقت" They Fight all the time. وكانت الحرب الأهلية وقتها مستعرة فى لبنان، والمغرب والجزائر تتصارعان على الحدود، ومصر وسوريا تتبادلان الاتهامات وأكثر من صراع آخر بالمدفع أو الكلمات يدور فى أكثر من مكان بين الأشقاء العرب، والأعداء يشيرون إليهم قائلين: أنهم يقاتلون طول الوقت .....!

أما حان الوقت للحوار المثمر البناء، والنقد الذاتى الذى لا يعمد إلي التجريح ولكن إلى التصحيح ولا يلجأ إلى الهدم ولكن إلى البناء، ولا يتجه إلى المزايدات ولكن إلى النصح والارشاد ؟ وأخيراً أما حان الوقت أن ينبه عقلاء هذه الأمة إلى الأخطار العاملة والآجلة التى تحيط بأمتهم العربية فى المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية التى تقوم عليها حضارة أى أمة، والتى ان تداعت إحداها انهارت على اثرها دعائم الاستقلال والتقدم؟ أجل لقد حان الوقت لكل هذا وأصبح من الضرورى أن نبدأ بتغيير نظرتنا نحن العرب إلى أنفسنا وأن نصحح صورتنا الداخلية لكى يصحح الآخرون صورتهم عنا "أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"(١).

صدق الله العظيم

(١) سورة الرعد / ١١ .